



في جلسة سمر حضرها المحامي المرحوم "محمود الصابوني" في منزل العمامد "مصطفى طلاس" في الثمانينات من القرن الماضي، قال "الصابوني" وهو من ظرفاء دمشق المشهود لهم بحس النكتة ، لمضيفه وزير دفاع الأسد المزمن : " سيادة العمامد، أنت قارئ نهم وقد ألفت العديد من الكتب في مجالات شتى ، بما فيها واحد مختص بالعناية بالنبات.

إضافة إلى ذلك ، أنت تدير دار نشر وتدبج الشعر وللتو افتتحت مزرعة لتربية طائر الفري، تضاف إلى باقي أعمالك ومشاريعك.

كل هذا يحتاج إلى وقت ، فبالله عليك متى تجد الوقت لممارسة مهامك كوزير للدفاع ؟ في أوقات فراغك ؟". انفجر الحاضرون بالضحك بما فيهن الوزير العتيد الذي كان لديه، على ما يبدو، حس للنكتة.

حس النكتة هذا يبدو أنه قد غاب عن السيدة "تاريا هالونين" رئيسة فنلندا والتي نشرت مذكراتها عام 1999. السيدة "هالونين" والتي كانت وزيرة خارجية فنلندا بين 1995 و 2000 ذكرت أنها زارت سوريا مرتين في طريقها لتفقد الوحدة الفنلندية في جنوب لبنان.

في المرتين كان العمامد المقدم "مصطفى طلاس" في انتظارها في المطار ليأخذها بسيارته. في المرتين، حاول وزير النساء اغتصاب الوزيرة الزائرة ! انتهى الأمر بالحكومة الفنلندية إلى تقديم احتجاج رسمي لدى السلطات السورية في المرة الثانية.

الراحل "ياسر عرفات" كان له نصيب من "حس الدعاية" المعهود لدى العmad المفوّه، حيث لقبه "وزير دفاع الممانعة" على بـ"ابن ستين ألف....". هذا بعد اتفاقيات أوسلو التي "ضاربت" على اتفاق فصل القوات الأسدية الإسرائيلي. الوزير الوسيم كان يتبااهي بعزوّاته النسائية، مثله مثل نظيره الليبي "ابن العقيد" المعتصم القذافي. بين محظياته نجد "حبه الأكبر" السيدة "جينابولو بريجيدا" والتي زارت دمشق في ضيافة الوزير العتيدي بعدما اشترط الوزير المقاوم أن تكون السيدة "بريجيدا" هي من يوقع عقد شراء هيليكوبترات "أغوستا" الإيطالية !

مثلها "جين مانسون" التي حظيت بـ"إقامة حفل فني في دمشق بعد ليلة حمراء في أحضان الوزير" الممانع" وغيرهما كثُر. الوزير النبيه تمت أياضاً بـ"حس" رجل الأعمال اللماح، فوافق على زواج ابنته "ناهد" ابنة الثمانية عشر عاماً من تاجر السلاح المعروف "أكرم العجة" ابن الخمسة وستين عاماً.

الزواج كان صفة ناجحة لكل الأطراف، فالعماد استفاد وـ"قبض" وتاجر السلاح وسع دائرة نفوذه وأعماله وحظي بزوجة حسناء ذكية، أما الزوجة فقد ترملت بعد بضعة عشرة أعوام وتربعت على ثروة تقدر بـمليار دولار.

شطاره العماد لم تقف عند هذا الحد، فقد وضع ابنه البكر "فراس" على رأس مجموعة تجارية رابحة في مجال الأعمال، وأنه الثاني "مناف" في الجيش، وفاته أن يجعل من أحد أبنائه شيئاً معمماً ليجعل منه مفتياً للديار السورية !

موقع العماد المغوار في الجيش السوري يحتاج للكثير من التبصر لمعرفة أن الوزير العتيدي عسكري ! فالرجل لم يجلِّ لا في معركة ولا في حرب ومهنته تحصر في الانقلابات. كل من تردد على مراكز القرار في الجيش السوري يعرف أن سلطة العماد "طلاس" لا تتعذر منح جازة لمجنده "بشرط عدم اعتراف قائد المباشر!". بكلمة أخرى، العماد طلاس هو أشبه بـ"بصحر طائر مجهول المصدر" الكل يتحدث عنه في الجيش ولكن لا أحد رأه ولا أحد يعرف ماذا يفعل، بالعامي "رجل كرسي، مثل قلته...".

أحد نجاحات العماد **العلامية** هو تقديميه لنفسه على أنه "رجل السوفويت في سوريا" في حين تقع مصالحه التجارية مع فرنسا "بحكم المصاورة" على الأقل.

مع ذلك، قام الأسد بتوزيع "الواجبات" بالقرعة، وبالتراضي، على خدمه المخلصين، وكان من نصيب العماد "الشقيق السوفويتي"، في حين حظي منافسه السنوي الآخر، العماد "حكمة الشهابي" بلقب "رجل أمريكا" في دمشق. حقيقة الأمر هي أن السوفويت والأمريكيين هم من أراد وضع "وجوه سنية" في الواجهة لتقويتهم، في مقابل الطابع العلوي الطاغي على النظام. إسرائيل من جهتها كان لها في رأس الهرم خير حليف وخير صديق. مع وصول الأسد الوريث **إلى السلطة**، استمر الطاقم "السنوي" في النظام في أداء دوره التجميلي لنظام العصابة الفئوي والطائفي في دمشق، حتى تم الاستغناء عن رحل بسلام، وـ"انتحر" من مانع في الرحيل مثل الزعيبي وكعنان.

العماد "طلاس" المحب للمال والنساء وللأبهة والألقاب الطنانة أصبح خارج المعادلة. الأسد الأب كان يحافظ على خدمه حتى مماتهم أو قتلهم ، أما الأسد الابن فقد اكتشف محاسن التقاعد وهذا ما لم يغفره له أزلام الأب.

حين اندلعت الثورة السورية كان العماد العتيدي خارج المعادلة السياسية في سوريا، وانحصر دور العائلة بالملازم الشجاع "عبد الرزاق طلاس" وجه الثورة الواعد.

العماد "طلاس" وأبناؤه أظهروا عجزاً عن أداء الدور الذي سبق للعماد أن أداه وهو الحفاظ على ولاء الرستن وأهلهما ولعب دور "الماكياج" السنوي لنظام اختار الغرق في حرب "تطيف" للمجتمع بـكامله. في ظل غباء ورعونة نظام الشبيحة، ما كان لا لطلاس ولا حتى للبوطي أن يقوم بـ"تجميل وجه القاتل البشع".

الأسد الابن لم يكن لديه لا دماء ولا صبر أبيه وانتهى به الأمر **إلى** شعال سوريا كلها بــ"حمامة وصبيانه". هذا الأمر أدركته العائلة "الطلاسية" سريعاً وأدركـت أيضاً أنها فشلت في أداء الدور المطلوب منها من قبل النظام ولم يعد لها

من مكان أو دور في "سوريا الأسد".

هكذا فر أفراد العائلة الواحد تلو الآخر، فراس ذهب إلى دي "المتابعة أعماله" ولكي يدعي أنه مقاوم ومع الثورة منذ البداية! الألب لم يقطع شعرة معاوية مع الأسد وسافر لباريس "لفحوص صحية" ووعد بالعودة فور انتهائها، لكن هذه الفحوص على ما يبدو ستطول.

بقي العميد "مناف" في دمشق، حبيس قصره. الرجل "قائد لواء" في الحرس الجمهوري ولكن لا نفوذ فعلياً له فهو وأبوه قبله لم يكونا يوماً من "عظام رقبة" النظام ووضع العميد "مناف" في بيته كان تكريساً لأمر واقع.

القول أن العميد المنشق توقع في بداية الثورة أنه سيقدر على تغيير مصير "بابا عمرو" بعدما عجز عن تهدئة بلده "الرستن" والحد من عداون النظام عليها لا يعدو كونه "تجميل بخائع".

يحتاج المرء إلى الكثير من السذاجة لكي يعتقد أن العميد مناف سيكون أكثر حظاً في جهوده من الناطق باسم النظام "بشار الأسد" الذي استقبل أهالي الشهداء ووعدهم خيراً، فالعميد الوسيم لا قيمة عسكرية له ولا قوات تحت أمره. حتى "الصداقة" بين مناف وبشار لا تغير من الأمر شيئاً لأن بشار ذاته ليس أكثر من واجهة لعصابة تحرك الأمور من وراء ستار.

في هذه الظروف، أصبح بقاء "مناف" في دمشق عبئاً على العائلة التي تريد إعادة "تدوير" نفسها وعرض خدماتها في بناء "سوريا المستقبل". خروج العماد "طلاس" الذي يحتفظ بالكثير من أسرار النظام كان الفيصل فيما يخص العائلة كلها. مع ذلك، من خروج "طلاس" الألب مرور الكرام ! ما كان لنظام الأسد أن يؤذى "مناف" ويفتح على نفسه باب الفضائح ويعرض للسان "العماد" السليط. من هنا جاء خروج العميد "مناف طلاس" ليتحقق بالعماد "مصطفى طلاس" تحصيل حاصل.

هل جاء خروج العميد بالاتفاق مع أطراف نافذة في نظام الأسد ؟ يمكننا طرح مكانية أن يكون بعض أطراف النظام يد في "انشقاق" العميد، ربما بهدف خلع "الماكياج" السنوي، عديم الفائدة، عن وجه النظام ورص صفوف مقاتلي "الطائفة الكريمة". من ساعد "مناف طلاس" على الخروج ؟ الروس ليست لهم مصلحة في رؤية العميد "مناف" ينشق جهاراً عن النظام وكان في مقدوره جلبه إلى موسكو. لكن للروس مصلحة في فتح قناة معه بعدما خرج والمراهنة على عائلة لا يفوقها في العمالة والفساد سوى آل الأسد. الأغلب أن خروج العميد الفار جاء بالتنسيق مع أكثر من جهاز استخباراتي بينها المخابرات الفرنسية ذات النفوذ الواسع في لبنان.

عدم توجه العميد "مناف" إلى موسكو مباشرة لا يعني عدم التعاون مع الصديق الروسي الذي له كل المصلحة في أن لا يضع كل البيض في سلة الأسد.

رغم الضجة الفارغة التي أثيرت حول فرار العميد "مناف"، بقي الرجل صامتاً حتى مساء 23 تموز، وهذا يعني أن مفاوضات قد دارت بين العائلة "الطلاسية" وبين أكثر من طرف له مصلحة في الضغط على الأسد. العميد العتيدي خرج عن صمته بطريقة مسرحية عبر بيان "حصري" على العربية، وأن الأمر يتعلق بمسلسل تلفزيوني أو بكليب، وهو ما يؤكد أن الرجل بعيد كل البعد عن الانفعال وأنه "يحسبها صح" ويفهم في "الأصول" وليس كهؤلاء الضباط الذين تحركوا بانفعالية وبنخوة حين شاهدوا المذابح التي تعرض لها أهلهم. العميد خرج عن صمته حين أصبح الظرف مناسباً وبعدما لم يبق في بلده "الرستن" حجر على حجر.

الرجل طلع علينا بلغة عربية ضعيفة يخجل منها أبوه "الشاعر المرهف" وبخطاب لا يسمن ولا يغني من جوع، متحدثاً عن "أخطاء" قام بها "الجيش العربي السوري" في حين يرى التأثرون في هذا الجيش جيش احتلال غاشم و في ممارسات عسكر الأسد مجازر يندى لها جبين "هولاكو" وليس مجرد "أخطاء".

بتصرิحة الاستعراضي هذا، يضع العميد "طلاس" نفسه في تصرف "سوريا موحدة" تنتظر "تشريفه". المشكلة هي أن أيّاً من التأثرين لن يقبل بأن يحل "العميد مناف" ابن العماد مصطفى، محل "الفريق بشار" ابن الفريق حافظ

ولو تغطى الأول بعاءة سنية وبابنته دول أصدقاء سوريا كلها، سوف يبقى العميد مناف "المنشق" واحداً من الضباط المنشقين الذين يحاربون على شاشات التلفاز من فنادقهم المريحة، شتان بين "العميد مناف" والملازم "عبد الرزاق طلاس" الذي يقاتل على الأرض ويحظى بالاحترام والتقدير.

لكن الدور الأرجح للعميد المنشق ليس في هذا المضمار، فوضع الرجل في المقدمة وتسويقه، مستقبلاً، على أنه "رجل الحل" في سوريا قد يكون مقدمة لتدخل عسكري يهدف لخلع الأسد.

داعمو "مناف طلاس" الخارجيون سوف يمكن لهم تقديمها على أنه يمثل حلاً وسطاً، فهو سني مثل أغلبية الشعب السوري، وهو محسوب على النظام بما يهدئ من روع أزلام الأسد الذين يتحسسون رؤوسهم خوفاً من انتصار الثورة، ثم إن الرجل وعائلته "يفهمون في البيزنس" ومستعدون لضمان مصالح الجميع في سوريا دون الخوف من صحوة ضمير أو من حس بالمسؤولية الوطنية "لا سمح الله".

الأسد وعصاباته يعرفون ذلك تماماً، ويدركون أن الطريقة الوحيدة لتنصيب "العميد مناف" على عرش الجماجم في دمشق هي عبر تدخل خارجي مع الاستعانة بعناصر داخلية، قد تكون هي ذاتها التي سهلت خروج العميد "مناف" ضمن صفقة كبرى يتم طبخها على نار هادئة.

سيفهم الأسد حينها الأمر على أنه رسالة مؤداها : "أن الأمور أصبحت جدية وأن هناك من يحضر جدياً لخلعه". في هذه الحالة قد "يفهم الأسد بالذوق" ويقرر الرحيل مع عائلته وعصاباته إلى طهران و"كفى الله المؤمنين شر القتال". بكلمة أخرى، العميد "مناف" ليس العمام "علي حبيب" وليس له من دور دون دعم خارجي ودون أن يتم فرضه على الثورة كبديل متوافق عليه دولياً للأسد. الدور المرسوم للعميد المنشق قد يكون، في أحسن الأحوال، أقرب إلى دور "جلبي" سوريا منه إلى أي شيء آخر .

المصدر: سوريا المستقبل

المصادر: